مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، ما رحم عباده بمثل إنزال القرآن، الذي جعله هدىً وموعظةً وذكرى، وجعل لتاليه والعاملين به من لدنه خيرًا وأجرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كانت حياته وأخلاقه للقرآن تفسيرًا وشرحًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديهم، واستن بسنتهم إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن وجوه الإعجاز في كتاب الله لا تنتهي، ولا غرو! فهو كلام الله ﷻ!

ولقد تفنن علماء هذه الأمة في إبراز ما استطاعوا من تلك الأوجه -التشريعية، والبيانية، والبلاغية- التي تزيد المؤمن يقينًا أن هذا القرآن كلام الله تعالى، وتجعله يتلذذ بتلاوته، وتنفتح له آفاق رحبة عند تدبره.

وإن من أوجه الإعجاز الذي تضمنه كتاب الله جل وعلا: ماحواه من جُمَلٍ قليلة المباني، عظيمة المعاني، يقرأ فيها المسلم الجملة المكونة من كلمتين أو ثلاث كلمات

أو أربع، فإذا به يجد تحتها كنوزًا من الهدايات العلمية، والإيمانية، والتربوية، والتي جاءت على صورة: (**قواعد قرآنية**).

ولئن كان نبينا محمد ﷺ قد أخذ بناصية البيان، وأوتي جوامع الكلم، فما الظن بكلام واهب تلك المواهب لعبده وخليله؟!

إن من أعظم مزايا هذه القواعد: شمولها، وسعة معانيها، فليست هي خاصة بموضوع محدد كالتوحيد، أو العبادات مثلًا، بل هي شاملة لهذا ولغيره من الأحوال التي يتقلب فيها العباد، فثمة **قواعدُ** تعالج علاقة العبد بربه تعالى، **وقواعدُ** تصحح مقام العبودية، وسير المؤمن إلى الله والدار الآخرة، **وقواعدُ** لترشيد السلوك بين الناس، وأخرى لتقويم وتصحيح ما يقع من أخطاء في العلاقة الزوجية، إلى غير ذلك من المجالات، بل لا أبالغ إذا قلتُ -وقد تتبعتُ أكثر من مائة قاعدة في كتاب الله-: إن القواعد القرآنية لم تدع مجالًا إلا طرقته.

إنه ليروق للكثيرين استعمال واستخدام ما يعرف بالتوقيعات، وتكون هذه التوقيعات بيتًا من الشعر حينًا، وتكون حينًا آخر كلمة لأحد الحكماء، وفي أحيان أخرى: قطعةً من حديث شريف، وهذا كله لا إشكال فيه، لكن ليتنا نفعّل معاني القرآن من خلال تكرار القواعد القرآنية التي حفل بها كتابُ الله تعالى؛ فإن ذلك له فوائد كثيرة، منها:

١- ربط الناس بكتاب ربهم تعالى في جميع شؤونهم وأحوالهم.

٢- ليرسخ في قلوب الناس أن القرآن فيه علاج لجميع مشاكلهم مهما تنوعت، تارةً بالتنصيص عليها، وتارة بالإشارة إليها من خلال هذه القواعد.

٣- أن تفعيل هذه القواعد القرآنية، وكثرة ترددها على الألسنة؛ يجعل منها بديلًا عن كثير من الغث الذي ملئت بها توقيعات بعض الناس سواء في كلماتهم، أو

مقالاتهم، أو معرفاتهم على الشبكة العالمية.

وأصل هذه الأوراق حلقات ألقيتها في إذاعة القرآن الكريم السعودية (عام: ١٤٣٠هـ)، فوقعت -بحمد الله- من بعض الفضلاء وقعها الحسن -من داخل المملكة وخارجها- وكان الاقتراح أن تنشر؛ لعل الله ينفع بها، فأعدت النظر فيها، وأعدت صياغتها بما يتناسب والنشر الورقي.

سائلًا الله تعالى أن يجعلها ذخرًا عنده، مقرِّبة لديه، والحمد لله رب العالمين.

د.عمر بن عبدالله المقبل

١/ ٥/ ١٤٣٢هـ

omar@tadabbor.com

obeikandl.com

قـواعــد قـرآنـيـة

(٥٠) قاعدة قرآنية

في النفس والحياة

obeikandl.com

تمهيد

يحسن قبل الدخول إلى ما تيسر إعداده من قواعد، أن أبيّن حدّ هذه القواعد، ومرادي بها؛ فأقول: تضمن العنوان كلمتين: قواعد، وقرآنية:

فأما «القواعد»: فهي جمع قاعدة، وأصلها اللغوي يعود إلى مادة (قعد)، وهي -كما يقول ابن فارس-: «**أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ لَا يُخْلَفُ، وَهُوَ يُضَاهِي الْجُلُوسَ** وَإِنْ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِي مَوَاضِعَ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْجُلُوسِ، ... وَقَوَاعِدُ الْبَيْتِ: أَسَاسُهُ»[(١)] فكأن قواعد البيت في سفولها تخالف عواليه، ولهذا يقال: «والقاعدُ وَالْقَاعِدَة: أصل الأسِّ.

وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، وَفِيه: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ قَالَ الزّجاج: الْقَوَاعِد: أساطين الْبناء الَّتِي تَعمِده»[(٢)].

وعلى هذا فقاعدة الباب: الأصل الذي تنبني عليه مسائلُه، وفروعُه.

أما **تعريف القاعدة اصطلاحًا**: فهو: «**قَضِيَّة كُلية منطبقة على جزئياتها**»[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة: (٥/ ١٠٨).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (١/ ١٧٢).

(٣) تيسير التحرير (١ / ١٤)، وينظر: التعريفات (١٧١)، إجابة السائل شرح بغية الآمل، ص: (٢٥)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ص: (١/ ٣١).

obeikandl.com

- فقولهم: «**قضية كلية**» أي يدخل تحتها جميع أجزائها، لا يشذ من ذلك شيء.

وهذا الوصف دقيق، ومطرد في حق القواعد القرآنية التي تعتمد الآية الكريمة، أو جزءً منها في إثباتها؛ لأنها تعتمد على النص القرآني، فهو كلام الله تعالى الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

أما بالنسبة للقواعد التي يصوغها علماء الأصول، أو علماء التفسير، فهذه الكلية قد تنتقض في بعض صورها، فهي -إذن- نسبية، وليست مطردة.

ولا يلزم -في هذه القواعد- من ذلك تعديل الصياغة ليقال بأن القواعد «**حكم أغلبي**»؛ لوجود استثناءات في بعض القواعد، كلا؛ **لأن هذه الاستثناءات لا تخرق القاعدة**؛ فالعبرة بالأغلب، كما يقول الكفوي: «وتخلف الأَصْل فِي مَوضِع أَو موضِعين لَا يُنَافِي أصالته»[(١)].

- وقولهم: «**منطبقة على جزئياتها**»؛ لأن هذه هي حقيقة القاعدة، فهي الأساس والأصل لما فوقها، وهي تجمع فروعًا من أبواب شَتَّى[(٢)].

- **وأما «القرآنية»**: فنسبة إلى القرآن، وهو **لغةً**: مأخوذ من قرأ، وأصلها من قَرِيَ -كما يقول ابن فارس- الذي: «يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَاجْتِمَاعٍ..، وَمِنْهُ: الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[(٣)].

وأقرب ما قيل في تعريفه **اصطلاحًا**: «**كلام الله تعالى حقيقة، المنزل على محمد ﷺ**،

---

(١) الكليات: (١٢٢)، وللشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نفيس في تقرير صحة الاعتماد على القواعد وإن وجد لها استثناءات، أو تخلفت بعض جزئياتها، ينظر: الموافقات: (٢/ ٨٣)، قواعد التفسير للسبت: (١/ ٢٣).

(٢) الكليات: (٧٢٨).

(٣) مقاييس اللغة: (٥/ ٧٨) بتصرف، وفي «الإتقان» للسيوطي: ٢/ ٣٣٩ (النوع السابع عشر) بسط وتوسع في اشتقاقه، ليس هذا موضع بسطه.

المتعبد بتلاوته»[1].

وأما استعمال هذا اللفظ (**قرآنية**)؛ فإنني لم أقف على استعمال هذه النسبة (قرآنية) في كتب المتقدمين من أئمة اللغة، وإنما وجدتها عند بعض المتأخرين، كما في تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥)[2]، وفي «كليات» أبي البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤)[3].

وأما ورود هذه النسبة في كتب المفسرين من القرن السادس والسابع فكثير، ومن أقدم من وقفت على استعماله لها: الرازي (ت: ٦٠٦) في تفسيره «مفاتيح الغيب»[4]، وأبي حيان (ت: ٧٤٥) في «البحر المحيط»[5].

وأما وروده في كلام غير المفسرين من المتأخرين، فكثير جدًّا، وليس هذا مما يعنينا ههنا.

---

(١) ينظر: «الإتقان» للسيوطي: ٢/ ٣٣٩ (النوع السابع عشر)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (١٧).

ومما يحسن ذكره ههنا، ما علقه الشيخ محمد بن عبدالله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال - بعد تحدث عن فضل القرآن على ما سبقه من الكتب السماوية -: «لما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيًّا حقيقيًّا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص،...، وأما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول -كما تعرف الحقائق الكلية- فإنما أرادوا به تقريب معناه، وتمييزه عن بعض ما عداه، مما قد يشاركه في الاسم ولو توهمًا؛ ذلك أن سائر كتب الله تعالى، والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبوية، تشارك القرآن في كونها وحيًا إلهيًّا، فربما ظن ظانٌّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضًا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع» ا.هـ. ينظر: «النبأ العظيم» (٤٣).

(٢) ينظر -على سبيل المثال-: تاج العروس: (١١/ ١٦٣، ١٨/ ١٩٠).

(٣) الكليات: (١/ ٤٢١).

(٤) ينظر -على سبيل المثال-: (٧/ ١١٠، ١٠/ ١٦٢، ١٧/ ٢٦٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط في التفسير: (٦/ ٧٤).

obeikandl.com

وبناءً على ما تقدم، فيمكن الخلوص إلى تعريف **القواعد القرآنية**[1]، باعتباره لقبًا على ما اصطلح عليه حديثًا بهذه الجملة، فيقال في تعريفها، هي:

«**أحكام كلية قطعية، مستخرجة من نصوص القرآن**».

ولتوضيح هذا التعريف يقال:

- قولنا: «**أحكام كلية**» فقد سبق البحث فيها قريبًا.

- وقولنا: «**قطعية**» أي: أن حكمها مقطوع به، فلا يتطرق إليه الظن في أصل بنيتها؛ لأنها مأخوذة من كلام الله تعالى، فهو حق متيقن؛ وإنما يتطرق الظن فيما يُدْخِلُهُ المتأمل من أفراد تلك القاعدة.

كما أن للظن مجالًا فيما يتعلق بتصنيف القواعد إلى كبرى وصغرى.

- قولنا: «**مستخرجة من نصوص القرآن**» وفي هذا إشارة إلى مادة هذه القواعد، فهي مأخوذة من الآيات القرآنية، وليست كقواعد المفسرين أو الأصوليين التي يجتهد العلماء في صياغتها وتحرير ألفاظها.

---

(١) نظرًا لأن هذا الميدان بكرٌ؛ فلم أقف على من عرّفها باعتبار مجموع هاتين الكلمتين؛ لأن هذا العنوان لا أعلمه طُرِقَ من قبل، ولهذا، فيمكن اختيار تعريف لهذه الجملة.

obeikandl.com